الكتابات الإحتجاجية الجزائرية ضد الهيمنة الاستعمارية الفرنسية (1830-1914)

فتيحة سيفو*

إن دراسة تاريخ الجزائر الخاص بالفترة الاستعمارية اعتمد في معظمه على الكتابات الفرنسية، كما أن هذه المصادر والمراجع أعتمد عليها لدراسة ذهنية الجزائريين وتطور الوعي السياسي لديهم.

ركزت الأعمال المتخصصة في دراسة الإرهاصات الأولى للمقاومة السياسة ومظاهر الحركة الوطنية، بشكل مباشر، على كتابات الجزائريين، وعلى كتاباتهم باللغة الفرنسية بخاصة.

إن وجود كم هائل من كتابات الجزائريين باللغة العربية واللهجة المحلية في الأرشيف الجزائري الموزع على مراكز مختلفة بفرنسا، شجعنا على الاهتمام بالبحث في موضوع الكتابات الاحتجاجية الجزائرية في الفترة الاستعمارية.

و هذه المراكز هي :

- مركز أرشيف ما وراء البحار بمدينة أكس آن بـــروفنس (C.A.O.M)[1].
- مركز الاستقبال و البحث في الأرشيف الوطني بباريس (C.A.R.A.N).
- المصلحة التاريخية للقوات البرية بفانسان (S.H.AT.).
- الأرشيف الخاص للسيناتور جول فيري والمتواجد بالمكتبة البلدية لمدينة سانت ديي.

لقد ترتب على الوجود الاستعماري في أرض الجزائر ردود فعل مختلفة. أبرز مظاهرها المقاومة المسلحة و الانتفاضات الشعبية إضافة إلي اعمال اخرى مثل : إضرام الحرائق في الغابات و حقول المعمرين و الهجوم على ممثلي الإدارة الاستعمارية من فرنسيين و جزائريين و الهجرة إلى البلاد الإسلامية. ولكن بالموازاة مع كل ذلك فإن احتكاك المستعمر بأخلاقياته وسياساته، بالمجتمع الجزائري، وكذلك الاصطدام بين مجتمعين مختلفين سياسيا، ثقافيا، واجتماعيا نتج عنه رد فعل من نوع أخر تبلور في شكل إستراتيجية متميزة أوجدها الجزائريون للدفاع عن هويتهم والذود عن حقوقهم.

فالشكاوى(2) و العرائض الموجهة إلى الإدارة الفرنسية كانت مظهرا من مظاهر تلك العلاقة الجديدة التي أوجدتها الأوضاع والتي تعتبر وسيلة من وسائل الاحتجاج والرفض و المقاومة.

العريضة[3] حق للجميع حسب القانون الفرنسي الصادر سنة 1791، و المعدل سنة 1876. ولكن هل شمل هذا الحق، الخاص بالقانون الداخلي الفرنسي، المسلمين الجزائريين في هذه المستعمرة الجديدة ؟ و هل كان يمكن أن تعترف فرنسا بحق "الأهالي" في استعمال العريضة كوسيلة تعبير، باعتبار أن الجزائر كانـــت و بمقتضى دستور 1848 أرضا فرنسية ؟

على عكس الأوربيين الذين استطاعوا، منذ استقرارهم بالجزائر، الحصول على وسائل التعبير عن طريق الجرائد وممثلين في المجالس البلدية وحتى في البرلمان الفرنسي فقد حرم الجزائريون من مثل هذه الوسائل، و لم يبق لهم سوى كتابة رسائل احتجاج لم تكن تتعدى في أغلب الأحيان أول مسؤول عربي أو فرنسي تصله، ولكن رغم ذلك كله فإن هذه الوثائق تمثل للمؤرخ أداة ذات قيمة

* أستاذة محاضرة – قسم التاريخ، جامعة وهران

علمية وتاريخية هامة. فهي تترجم ذهنية الجزائريين ووجهات نظرهم، وتشرح نفسية المستعمَر ومعاناته، وتوضح جانبا من نوعية العلاقات التي كانت تربطه بالإدارة الاستعمارية.

ففي التقارير والترجمات الفرنسية نادرًا ما تستعمل كلمة "عريضة" عندما يتعلق الأمر برسالة احتجاج من جزائري، خاصة في بداية الاحتلال. فنجد مثلا كلمة "رسالة"، "طلب" أو "مذكرة"، ولكن غالبًا ما تستعمل كلمة "شكوى" بينما الكثير من رسائل الجزائريين في بداية الاحتلال كانت لها مميزات العريضة. فهي غالبًا ما تتحدث باسم " أهل الجزائر" أو "سكان الجزائر" وهذا منذ بداية الاحتلال.

عبر الجزائريون عن نكبتهم وحزنهم بعد سقوط مدينة الجزائر في جوان 1830 بالهجرة و المقاومة المسلحة وأيضا بالمدائح والمنولوجات[4]، في نفس الوقت كانت هناك جماعة من الجزائريين اختارت الحوار مع المستعمر. و لأن عملية الاحتلال قد صاحبتها عمليات سلب و تدمير، وتدنيس لمؤسسات البلاد وللممتلكات الفردية، فإن هذا الحوار اتخذ منذ البداية طابع الشكوى والصبغة الاحتجاجية المنددة بالتعديات المرتكبة من قبل السلطات الفرنسية إدارةً وجيشًا.

ظلت هذه الكتابات الاحتجاجية تصل إلى المسؤولين الفرنسيين في الجزائر وحتى في فرنسا طيلة الفترة الاستعمارية، ولكننا ارتأينا أن نتناول في دراستنا هذه المرحلة الممتدة من 1830 إلى 1914. لأنه بعد 1914 ستنتهج النخبة سبل أكثر فعالية للإحتجاج.

ففي 9 فبراير 1914 اختتم مجلس النواب مناقشاته والتي اهتمت طيلة ثمانية جلسات بقضية "السياسة الأهلية"[5]. هذه الالتفاتة الخاصة حدثت نتيجة حملة الليبراليين الفرنسيين خاصة جريدة *le* Temps وأيضا نتيجة نشاط النخبة الجزائرية التي اقترحت على السلطات الفرنسية قبول التجنيد الإجباري للمسلمين الجزائريين شريطة إحداث تغيير في السياسة الفرنسية اتجاه هؤلاء.

و بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى شهدت الساحة السياسية الجزائرية بداية ظهور الحركة الوطنية والأحزاب السياسية التي نجحت في التوصل إلى وسائل أنجع للتعبير عن آراء الجزائريين ووجهات نظرهم ولعرض مطالب أبناء وطنهم، وأهم هذه الوسائل كانت الصحافة.

ويمكن أن نقسم هذه المرحلة (1830- 1914) إلى ثلاث فترات متميزة :

1- فترة (1830- 1857). عند أول احتكاك حصل بين الاستعمار والمجتمع الجزائري، بدأت تصل رسائل مختلفة إلى السلطات الفرنسية سواء من المدينة أومن الريف. فالنداء الموجه إلى "سكان الجزائر وأهل القبائل" في جوان1830 [6] من قبل دي بورمون والمعاهدة الممضاة من قبل هذا الأخير والداي حسين في 5 جويلية 1830 [7]، يضمنان حرية الاعتقاد الديني والأملاك لجميع السكان، وكذلك احترام الأشخاص. لكن هذه الوعود لم تعد محترمة بمجرد دخول الجيش الفرنسي أرض الجزائر. وظهرت الاعتداءات و التعسفات التي رد عليها الجزائريون بطبيعة الحال باعتراضات واستنكارات واحتجاجات اتخذت مظاهر مختلفة.

يمكننا أن نميز في السنوات الأولى من الاحتلال، بين نوعين من الرسائل الاحتجاجية.

فهناك رسائل الحضر و رسائل سكان الأرياف. النوع الأول كان صادر عن أعيان مدينة الجزائر الذين حاولوا ردع الفرنسيين بسبب ماصدر منهم من تصرفات ومطالبتهم باحترام نصوص معاهدة الخامس جويلية والوفاء بوعودهم. وكان من بين هؤلاء الأعيان من فتح مجالا للحوار الصريح الشفاف لتوضيح الأخطاء وعرض الحلول لها. ولكن باءت بالفشل كل محاولات هؤلاء الذين تقدموا كممثلين للشعب الجزائري،. بل إنهم دفعوا ثمن جرأتهم غاليا، فكان مصير أغلبهم إما السجن أو النفي.

تعتبر العريضة التي بعث بها حمدان بن عثمان خوجة و إبراهيم بن مصطفى باشا الى وزير الحربية الماريشال سولت في جوان 1833 و المكونة من 22 صفحة من أهم عرائض هذه الفترة، حيث كشفت للسلطات الفرنسية بباريس عن الفظائع التي قام بها الفرنسيون عند دخولهم الجزائر[8]. لقد عدد ممثلو الجزائريين في 18 بندا، تلك التعديات و الانتهاكات التي تعرضت لها المقدسات

الجزائرية ، مثل ضم أملاك الوقف إلى الدولة و تدمير القبور وذلك بغرض شق طرقات حيث دنست رفاة المسلمين، وتحويل المساجد إلى كنائس و مختلف عمليات النهب و السلب الأخرى.

أما سكان القبائل وشيوخ المناطق الجبلية فقد حاولوا عقد مفاوضات مع السلطات الفرنسية كمحاولة لصدهم. ولكن هنا أيضا لم تكن سوى نداءات بلا صدى، لأن الهيمنة الاستعمارية توسعت نحو المناطق الداخلية رغم معارضة هؤلاء الأعيان .

ففي عمالة وهران و قسنطينة أين كانت المقاومة المسلحة أكثر تنظيما، جرت مراسلات بين الزعماء الثوريين والسلطات الفرنسية، وكانت على شكل مفاوضات أكثر منها عرائض احتجاجية.

في بداية الاحتلال كانت الاحتجاجات الفردية نادرة ، لأن الجزائري كان منكوبًا وحائرًا. ونظرا للانقلاب الذي عرفته الإدارة في الجزائر ونظرا أيضا لذلك الاصطدام الثقافي بين المجتمعين امتنع الجزائريون غالبا عن التعبير عن معاناتهم و تقديم شكاويهم.
وقد شرح أحمد بوضربة هذه النقطة في مذكرته قائلاً : "معظم الفرنسيين الذين أتوا إلى هذا البلد كانوا بلا ضمير ولا عقيدة، وهذا ما أحدث فزعا وتأثيرا سلبيا على الرأي العام الجزائري. فعندما كان أحد البدويين أو الحضر يريد أن يشتكي من أمر ما وإذا حدث وأن نطق اسم الله أمام أحد الفرنسيين، فإنه ينهر في الحال وبصورة وحشية وهذا ما جعل الكثير يتخلون عن عرض شكاويهم خوفا من أن يسب أو يهان اسم الجلالة أمامهم[9].

2– فترة (1857–1881). وجدت، في هذه الفترة، كتابات احتجاجية ضد امتداد و توسع السيطرة الاستعمارية. فبعد تمركز الاستعمار في الجزائر وإنشاء مؤسسات إدارية وقضائية وإصدار قوانين عقارية وضريبية تكاثرت الشكاوى والعرائض الجزائرية وأصبحت أكثر شعبية وأكثر فردية، وميزها طابع اقتصادي اجتماعي، إضافة إلى أن هذه الفترة عرفت بعض الأحداث الهامة التي كان لها تأثير خاص على الشكوى والعريضة الجزائرية.

أولا : سياسة نابليون الثالث.

رغم تحطم حلم "المملكة العربية" بسبب واقع المستعمرة ومعارضة العسكريين والمعمرين، ظهرت تأثيرات على النظام الاجتماعي و الاقتصادي الجزائري نتيجة هذه السياسة خاصة بعد المرسوم المشيخي لسنة 1863. في هذه الفترة، وصلت رسائل عدة تخص مجال العقار.

ثانيا : أزمة (1865 -1870).

لعبت نتائج هذه الأزمة دورًا في تطور الأحداث. لقد عانى الفلاح الجزائري لمدة 5 سنوات من كوارث طبيعية، كانت جد مدمرة. هذه الوضعية حركت الحكومة في فرنسا فبعثت بلجنة تحقيق لمعالجة أسباب المجاعة والبحث عن النظام الإداري الأنجع. كان ممثلو هذا النظام المحليون جد منتقدين، وظهر هذا جليا في الشكاوى الجزائرية.

3– فترة (1881 – 1914). أثناء هذه الفترة، ترسخت السياسة القضائية الفرنسية و ظهرت المطالب السياسية الجزائرية.

كانت نتائج سنوات المقاومة المسلحة وخيمة على المجتمع الجزائري. لقد تضرر النظام الاقتصادي و الاجتماعي كثيرا من جراء قوانين المصادرة والحجر و الغرامات الحربية المفروضة على الجزائريين، إضافة إلى ذلك جاءت القوانين الاستثنائية و التعديلات القضائية كمحاولة لطمس المعالم الحضارية و الثقافية. و قد عارض الشعب الجزائري محاولة الدمج و التدمير بكل إصرار. بل إن الأوضاع الداخلية بالإضافة إلى عوامل خارجية، ساهمت في إبراز ممثلين للمجتمع، أعطوا شمولية وصبغة سياسية لمطالب أبناء وطنهم.

عرفت الجزائر تشريعات عدة خلال الفترة الاستعمارية، وتراكم القوانين الاقتصادية والقضائية والإدارية وانتشار تطبيقها غير السوي، وقد زاد ذلك من الفوضى والغموض والاضطراب. فالمبدأ المقرر بموجب مرسوم 22 جويلية 1834 والذي نص على أن الجزائر من الممتلكات الفرنسية في إفريقيا سيطر على كامل التاريخ السياسي القضائي للجزائر: أرض فرنسية، وشعب فرنسي، هذه

هي المعطيات الجديدة. أمام التجهيزات التشريعية الفرنسية، هناك جدار مقاوم مكون من شعب بهويته وقوانينه وأعرافه وتقاليـــــده. و كان لابد ايضا من الجانب الجزائري، إيجاد توافق وإحداث استراتيجيات جديدة تتلاءم مع المعطيات الجديدة.

إن فترة التردد التي سادت ما بين سقوط مدينة الجزائر ومرسوم 22 جويلية، أحدثت نوعا من البلبلة والغموض فيما يخص تحديد مصير الجزائر. ولهذا فإن الكثير من الجزائريين كانوا يأملون أن تمنحهم فرنسا نوعا من الحكم الذاتي، فراحت النخبة منهم تقترح حلولا وتسعى في ذلك إلى مفاوضات ودية. ولكن بعد سنة 1834 وبعد القرار الفرنسي الأخير، تم التخلي عن المفاوضات الودية وفسح المجال للمقاومات الشعبية المسلحة والتي دامت أكثر من خمسين سنة. خلال هذه الفترة كانت الاحتجاجات ذات الطابع السياسي البحت شبه منعدمة، ولكنها ظهرت بشكل واضح مع نهاية القرن التاسع عشرة وبداية القرن العشرين.

كانت الكتابات الاحتجاجية تقدم غالبا من قبل النخب المحلية. بالإضافة إلى القوى الاجتماعية الثلاثة المعروفة التي كانت متواجدة منذ العهد العثماني وهي الحضر و الأجواد و المرابطون، برزت قوى اجتماعية أخرى بسبب الوجود الاستعماري الفرنسي. كان هؤلاء الأعيان يستعملون عدة صيغ وألقاب للتعريف بأنفسهم مثل "الكبار"، "شيوخ القبائل"، "الأشراف"، "الجماعة"، هذه المؤسسات كانت تجمع أحيانا عناصر من الفئات الثلاثة المختلفة المذكورة أعلاه.

إلى جانب شكاوى وعرائض النخبة، وجدت أيضا شكاوى لأفراد غير معروفين، صغار الملاك، ضحايا تحديد غير عادل لأراضيهم أو مصادرة جائرة لأملاكهم، أو أي نوع من أنواع الاستبداد الاستعماري.

كما اهتم أعيان البلاد بالمطالبة باحترام الديانة الإسلامية وشرائعها و مؤسساتها، وبالمطالبة بمنحهم استقلالا ذاتيا في ما يخص تسيير أمورهم الداخلية، لكن ونظرا لسياسة التسلط اهملت هذه المطالب و لم يستجب لها.

كانت الاحتجاجات في البداية تكتب بصورة عفوية و تلقائية باللغة العربية ولكن تحتم الأمر فيما بعد لأن تعرض مطالب الجزائريين باللغة الفرنسية، بل انه أصبح من الضروري والمستعجل تعلم لغة الأخر حتى يسهل الحوار و الإدلاء بالرأي. هذه اللغة التي كانت في البداية منبوذة لكونها لغة المستعمر وأن تعلمها معناه موالاة له و إنكار للهوية الوطنية، أصبحت في ما بعد أداة ضرورية لمحاربة هذا المستعمر و الذود عن الهوية. ظهر المثقف المستعمر الذي بدأ يكتب باسم شعبه فظهر أدب المستعمر : أدب احتجاجي دفاعي ومطالب بالحقوق.

و ابتداءا من 1880 أصبحت الكتابة واجبا و التزاما. فمقالات المثقفين الجزائريين كشفت عن ذهنية جديدة، و أثرت في المجتمع كافة، وأدت إلى تزايد الشكاوى والعرائض في هذه الفترة نظرا للظروف السياسية والاجتماعية و الثقافية الجديدة.

في كثير من العرائض في فترة نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين كان المثقفون الجزائريون يوضحون ويظهرون للمستعمر الفرق بينهم وبين أسلافهم، والتغيير الذي طرأ على علاقاتهم معه وعلى تفهماتهم الجديدة. و كانوا غالبا ما يلومون السلطات الفرنسية على أنها لم تغير من نظرتها اتجاههـــم و تصر على تجاهلهم انتقاما لما فعل أجدادهم. فهاهم القسنطينيون مثلا يقولون في عريضتهم الموجهة إلى ملكة بريطانيا سنة 1871 : " في سنة 1830 أعلنت الحكومة الفرنسية الحرب على أسلافنا الذين لم يبق منهم اليوم سوى عدد ضئيل"[10]. وهذا ما أكده أيضا احد المثقفين و هو طيب مرسلي في سنة 1891 حيث يقول : " إنه من المؤكد أن الأهالي الذين عاصروا كوارث الاحتلال و الذين كافحوا من أجل بلدهم ومن اجل حرياتهم، منذ ستين سنة، لايمكنهم أن يكنوا الحب للفرنسيين ولكن كم من هؤلاء لا يزال على قيد الحياة. المستقبل مرهون بحكامنا الذين نأمل منهم الكثير"[11].

وعلى هذا يمكن أن نميز ثلاثة مراحل مختلفة في ما يخص تاريخ العريضة والشكوى الاحتجاجية في الجزائر أثناء الفترة التي تناولناها بالدراسة و التي تميزت فيها السنوات الأولى من الاحتلال بكثرة العرائض الجماعية. فسواء على المستوى المحلي الجزائري أو على المستوى الخارجي في فرنسا، حاول الجزائريون الحفاظ على هويتهم بتقديم نوع من التراضي وذلك بأن تكون الجزائر مستقلة تحت حماية فرنسا. بعد نفي ممثلي الجزائريين، استقرت بين البرجوازية الحضرية والسلطات الاستعمارية علاقة سلمية تتخللها بعض

الطلبات العادية بينما تزعم الريف عمليات الكفاح المسلح. و عندما تمكنت السيطرة الاستعمارية من الجزائر، دافع الجزائريون بإلحاح ضد مصادرة أراضيهم واعترضوا على القوانين العقارية والقضائية والإدارية التي أصدرتها السلطات الفرنسية. و بعد مرور نصف قرن تقريبا من الاحتلال، و بعد أن تم تدمير المجتمع الريفي عن طريق عمليات السلب ومصادرة الأراضي وتطبيق القوانين العقارية الجائرة تزعمت المدينة النضال وظهر دورها جليًا.

كان التعليم من أهم الأسباب التي أبرزت دور المدينة. تعلم الجزائريين في نفس مدارس الفرنسيين ولد نوعا من الثقة في الذات والثقة في المستقبل وأزيح الحاجز الذي كان يحول دون الرغبة في التحاور و الإرادة في التعاون المتبادل. فظهر جيل المثقفين الجزائريين الذين كانوا يتطلعون إلى مبادئ الحرية وحقوق الإنسان و اتسعت ميادين الاحتجاج وتنظمت، فإلى جانب الطلبات الخاصة بالأراضي و بالإدارة المحلية و بالنظام الغابي، ظهرت نوعية جديدة من الشكاوى والعرائض شملت جميع معاناة الشعب الجزائري.

دراسة الشكاوى والعرائض في التاريخ يعني مساءلة المجتمع عن معاناته، عن نخبه، عن مطالبه وحقوقه، و تتبع التطور الذي عرفه الرأي العام فيه. و مفهوم الرأي العام مقرون دائما بمفهوم الديمقراطية والحرية وهو لا يتماشى مع الاستبداد والتسلط والقهر الذي ميز السياسة الاستعمارية. فدراسة شكاوى وعرائض مجتمع يرضخ تحت وطأة الاستعمار هي في نفس الوقت تحليل للذهنية الجزائرية في الفترة الاستعمارية ومعرفة مدى تجاوبها مع الأحداث والمستجدات السياسية والاقتصادية. ومعالجة أنواع الاحتجاجات يساعدنا على الإطلاع على مختلف القوى الاجتماعية المكونة للشعب الجزائري و التعرف على مطالبه و تطلعاته و طموحاته ومتابعة المراحل التي مر بها لتصل إلى تكوين وعي جماعي موحد وإلى تسييس وتدويل القضية الجزائرية.

هذه الدراسة هي موضوع جد مثير وجد مركب. يمتزج فيه الخاص بالعام و القضائي بالسياسي وكما هو معروف فإن الشكوى تهتم بالمنفعة الخاصة ومحتواها إنساني أما العريضة فانها تهدف إلى مصلحة أو منفعة عامة ومحتواها اجتماعي. في الجزائر المستعمرة لايمكن تمييز الشكوى عن العريضة لان محتواهما إنساني و هدفهما واحد، حتى وإن كان يرمي إلى مصلحة خاصة أو فردية، لأن الاثنان يرتكزان على معاناة مشتركة ويتضمنان مصلحة عامة.

إن دراسة الكتابات الاحتجاجية الجزائرية تعتبر قراءة مختلفة و مثيرة لتاريخ الجزائر، فمن ناحية هي تحليل للثقافة السياسية الجزائرية قبل بزوغ الحركة الوطنية، ولكنها هي أيضا دراسة لهذا النوع من المقاومة كنوع من التفاعل والتعامل مع المستجدات من ناحية أخرى. هذه الطريقة في الاحتجاج تكشف عن وجود تعامل بين الأغلبية المغلوبة المقهورة والأقلية الغالبة المتسلطة وعن اختلاف في وجهات نظر الأجيال التي عاصرت الاستعمار كل بحسب وضعيته الاجتماعية والثقافية.

أظهرت الشكاوى والعرائض الجزائرية نوعا من الثقة في المستعمر وأملا في أن يسمع إلى نداءات أصحابها وفي نفس الوقت عبرت عن رفض للواقع و عن عزم وتصميم على تغييره. كانت الشكاوى والعرائض الجزائرية تحوي ظاهريًا أو إيحائيا احتجاجات. لقد كانت وسيلة و إستراتيجية للمحافظة على الأملاك المادية والمعنوية.

رغم الأسلوب الدبلوماسي المرن الذي طبع الرسائل الاحتجاجية الجزائرية، ظلت نداءات الجزائريين بدون صدى، لأنه وفي ظل نظام هيمنة استعمارية خارجية لم يكن لهذه الاحتجاجات أي معنى. و لكن لكي تصبح هذه الشكاوى والعرائض أكثر فعالية كان لابد من إعطائها صبغة و إطارا سياسيا بحتا بحيث تطرح قضية الهوية الجزائرية والهيمنة الاستعمارية بشكل واضح مدقق وصريح. وهكذا وباسم الحقوق الدولية قام الجيل الثاني من حركة الشبان الجزائريين بالمطالبة "بحق الجزائر في تقرير مصيرها"[12] وانتهجت الحركة الاحتجاجية المطلبية مرحلة جديدة وحاولت إتباع إستراتيجية مغايرة لأنها لم تعد تكتفي بالمطالبة بالاصطلاحات بل إنها تبنت شيئا فشيئا طابعا ثوريا.

إن الكتابات الاحتجاجية الجزائرية دليل إضافي على شجاعة وصرامة هذا المجتمع في الدفاع عن مقوماته و حماية مبادئه، و تبين فيما بعد أن هذا العزم و الصرامة تحدي لا يقهر.

الهوامش :

1) مست الشكاوى والعرائض الجزائرية بمجالات مختلفة وبالتالي هي موزعة على معظم المجموعات الأرشيفية: ففي مركز أرشيف ما وراء البحار بمدينة أكس آن بـــروفنس (C.A.O.M)، هناك المجموعات الأرشيفية الخاصة بإدارة وتسيير المصالح العربية و كذلك المراسلات. عندنا في هذا المجال السلسلة : H التي تحمل عنوان "قضايا الأهالي". تضم هذه السلسلة مجموعات مثل : 1H : مراسلات، 2H : عمليات عسكرية، 3H : قضايا عسكرية، 9H : مراقبة سياسية للأهالي، .22H : التدخل إلى الصحراء. السلسلة E الخاصة بالمراسلات السياسية و التي جمعت في بكرات ميكروفيلم رقم : 18MI تضم مراسالات الحكام العامين من 1830 حتى 1873 بما فيها مراسلاتهم مع الجزائريين : علماء، شيوخ، قياد و رؤساء القبائل.

السلسلة X وهي عبارة عن مخطوطات ووثائق جد هامة جمعت من طرف مسؤولين إداريين. فأوراق لويس رين (Louis Rinn) تحمل رقم : 3X. و مجموعة فيرود(FERAUD) تحمل رقم : 10 ؛ يذكر فيرود، مترجم الجيش الفرنسي، فيما يخص هذه المجموعة إنها أعطيت له من قبل قس الجزائر و اسمه "دور" والذي اشترى هذه الوثائق من السوق بقيمة 300 فرنك وشرح له انه في 1871 نتيجة فوضى عمت الإدارة خرب أرشيف الحكومة و بيع بعضه من قبل موظفين غير واعيين. تحوي هذه المجموعة على 349 وثيقة ويمكن الاطلاع عليها عن طريق الميكروفيلم 16Mi 31.

ضمت مجموعة الأرشيف الوزاري F80 أيضا بعض الرسائل الاحتجاجية الجزائرية و خصت مواضيع متنوعة. رسائل المساجين توجد بالصندوق رقم 571. وتلك الخاصة بالأراضي بالصناديق : 1811 و 1816. المجموعة الخاصة بالمكاتب العربية جد مهمة أيضا و هي موزعة كالتالي: سلسلة K و K K بالنسبة لعمالة قسنطينة، J و J J الخاصة بعمالة وهران و I و I I تخص عمالة الجزائر. وثائق كثيرة وجدناها موزعة على المجموعات الأرشيفية الأخرى مثل السلسلة : M الخاصة بالمرسوم المشيخي (Le Sénatus Consulte)، I الخاصة بإدارة الأهالي، T الخاصة بالعدالة، P الخاصة بأملاك الدولة، F الخاصة بالشرطة.

يوجد في المصلحة التاريخية لقوات المشاة بفانسان (S.H.A.T) صناديق كثيرة من سلسلة 1H. الجزء الأول من هذه السلسلة (من 1 1H الى 193 1H) يحتوي على المراسلات التي تخص فترة 1830-1880. في هذا الجزء وجدنا رسائل هامة لحمدان بن عثمان خوجة والأمير عبد القادر وكذلك بعض رؤساء القبائل.

الرسائل الجزائرية من مركز الاستقبال و البحث في الأرشيف الوطني بباريس (C.A.R.A.N) خاصة المرسلة منها الى البرلمان و مجلس النواب محفوظة في السلسلة : C 7417-7487. السلسلة BB^{18} الخاصة بمراسلات قسم الجنايات تضم ملخصات لبعض الشكاوى المرسلة الى وزارة العدل.

الشكاوى و العرائض المجمعة من قبل السيناتور جول فيري الذي ترأس اللجنة البرلمانية سنة 1891، موجودة ضمن أرشيفه المحفوظ بالمكتبة البلدية لمدينة سانت ديي في المجموعة رقم A وخاصة الملفيـــــــــن : 1 Ab و Ab5.

2) – الشكوى : هي رسالة يتظلم فيها الشاكي من شيء، ويخبر المشتكى إليه بسوء فعله و يوضح خطأ وقع ضحيته راجيًا تصحيح وضعيته. وحسب مارسال ريشارد فإن الشكوى تحتوي على عناصر مثل : نقد، حق مغتصب، وربما بذور الثورة

RICHARD, M., *Le droit de pétition.* Paris, 1932, 769p. p. 10.

3) – العريضة هي عرض حال أو لائحة ممضاة من طرف مجموعة من الناس وتقدم إلى السلطة بغرض رفع مظلمة أو تحقيق رغبة. الفرق بين الشكاية والعريضة هو أن الشكاية غالبًا ما تكون فردية أما العريضة فهي جماعية.

4) – نقل إلينا اوجين دوماس و ديسبارمي أشعارا لأحد الطلاب كان متواجدا بالجزائر العاصمة أثناء دخول الفرنسيين إليها واسمه عبد القادر ونورد هنا جزءا منها مترجما :

« *Je suis, ô monde, sur Alger désolé !*
Les Français marchent sur elle
Avec des troupes dont Dieu sait le nombre

… Vous auriez dit une forêt, ô musulmans !

… La mort vaut mieux que la honte :

Si la mère des villes est prise,

Que vous restera-t-il, ô Musulmans ?

La fin des temps est arrivée ;

Dorénavant plus de repos,

Le jour des combats a brillé,

…

La mort dans la guerre sainte,

C'est la vie dans l'autre monde,»

و يذكر أن هذا الطالب عاد، بعد سقوط الجزائر على أيدي الفرنسيين، إلى مدينته مازونة وانه مات من شدة حزنه ويأْسه. انظر :

DAUMAS, E., *Mœurs et coutumes d'Algérie*, Paris, 1864, 398p.

DESPARMET, « L'entrée des Français à Alger par le cheikh Abdelkader » *R.A.* 3ème et 4ème trimestre 1930, pp 225-256.

5) - جرت هذه الحصص في 17 و 23 و 27 ديسمبر 1913 و 27 يناير و 3 و 7 و 9 فبراير 1914

6) - C.A.O.M., 1H 2.
7) - C.A.O.M., F80 1670.
8) - S.H.A.T. , H 20.
9) C.A.O.M., F80 10, Mémoire de Bu Darba.-
10) C.A.O.M., 2H 80- 1871 عريضة مؤرخة في 20 أفريل
11) MORSLY, *contribution à la question indigène en Algérie*, Constantine 1894, 104p. pp.- 64-65.
12) – عريضة الأمير خالد إلي الرئيس ويلسن في 1919.